سلسلة

جمع تراث علماء الكويت

١

الأعمال الكاملة

لفضيلة الشيخ

عبد الله بن عبد الرحمن بن علي بن سليمان السند

المتوفى سنة (١٣٩٧هـ) رحمه الله تعالى

اعتنى به

د. تركي محمد حامد النصر　　د. رياض منسي العيسى

فكرة وإشراف

د. عبد المحسن عبد الله الجار الله الخرافي

الجزء الأول

Scanned with CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس الثالث

مولدُ محمدٍ ﷺ وشيءٌ من سيرته

نحمدُك اللهمَّ حمدَ الشاكرين أنْ بعثْتَ فينا محمدًا خاتم النبيين والمرسلين، وأرسلتَهُ رحمةً عامة للعالمين، واختصصْتَ بمنَّتك به الأميين وسائر المؤمنين، واستجبْتَ به دعوةَ إبراهيم، وحقَّقْتَ به بشارةَ عيسى والنبيين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب العالمين.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الصادق الأمين.

اللهم صلِّ على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه الطيبين إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعدُ:

فيا عباد الله، اعلموا أنَّ الاحتفالَ بذكرى المولد النبوي في شهر ربيع الأول عادةٌ أحدثها في القرن السابع الملكُ المظفرُ صاحبُ إرْبَل، ثم انتشرتْ هذه العادة في الأقطار.

والفائدةُ التي ينبغي أن تتوخى في هذا اليوم - الذي فَضُلَ الأيام- هي التذكيرُ بخلاصةِ تاريخ النبي ﷺ، ليتذكرَ المؤمنون مِنَّةَ الله عليهم ببعثته، وتتغذى أرواحهم بزيادة الإيمان به وكمالِ محبته، ويحرصوا على إقامةِ دينِهِ وإحياءِ سنتِهِ.

Scanned with CamScanner

نشنِّفُ الأسماعَ بنَسَبِهِ المتصل بنبيِّ الله إسماعيلَ، فأقول: نبيُّنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وُلِدَ محمدٌ ﷺ سَويَّ الخَلْق، جميلَ الصورةِ، صحيحَ الجسمِ، وكانت ولادتُهُ في الليلة الثانية عشرة أو التاسعة من شهر ربيع الأول الموافقة للعشرين من شهر إبريل، وكان ذلك العام هو الحادي والسبعين بعد الخمسمائة من مولد المسيح عليهما الصلاة والسلام.

وقد توفي والده وهو حَمْلٌ، فكفله جدُّهُ عبد المطلب، فأرضعتْهُ أمُّهُ ثلاثة أيام، وكانت نساء قريش لا يرضعْنَ الأولاد، فعهد جدُّهُ بإرضاعه إلى حليمة السعدية، ثم رَدَّتْهُ حليمةُ إلى أمه بعد أربع سنين، فحضنته أمه إلى أن توفيت وله ست سنين، فأصبح ﷺ يتيم الأبوين.

وبقي مع جدِّه عبد المطلب سنتين، ثم توفي بعد أن أوصى به أبا طالب عمَّه، فحاطه بعنايته كما يحوط ولده، إلا أنه كان لفقره يعيش عيشة التقشف، فلم يتعوَّد ﷺ نعيم الترف، وذلك من عنايته تعالى بتربية هذا المصلح الكريم عليه مِنَ الله أفضلُ الصلاة والتسليم.

وُلِدَ ﷺ يتيمًا ونشأ في قومه فقيرًا، ومات والدُهُ في سن الشباب، ولم يترك له مالًا إلا خمسةَ جمال وبضعَ نعاج، وكان قد أَلِفَ رعيَ الغنم مع إخوته في الرضاع، فصار يرعى لأهل مكة، فيوفر على كافله أبي طالب بما يأخذ على ذلك من الأجرة.

Scanned with CamScanner

ثم سافر مع عمِّه أبي طالب في تجارتِهِ إلى الشام وله من العمر اثنتا عشرة سنةً وشهران وعشرة أيام، وهناك رآه بحيرا الراهب، وبَشَّر به عمَّه أبا طالب، وحذَّره من اليهود عليه بعد أن رأى خاتمَ النبوة بين كتفيه.

ثم إنه سافر إلى الشام مرةً ثانيةً مُتَّجِرًا بمال خديجة تجارةَ مضاربةٍ، إذ جاءت تلك بأرباح مضاعفة، بل جاءت بسعادة الدنيا والآخرة. كانت خديجةُ بنتُ خويلد أعقلَ وأكملَ امرأة في قريش، حتى كانت تدعى في الجاهلية: الطاهرة، لِمَا لها من الصيانة والفضائل الظاهرة.

ولَمَّا حدثَّها غلامُها ميسرةُ بما رأى منه عليه الصلاة والسلام في رحلته معه إلى الشام من الأخلاق العالية والفضائل السامية وما قاله بحيرا الراهب لعمه أبي طالب، تعلَّقَتْ رغبتُها بأن تتخذَه بعلًا، بل ترقت أفكارُها إلى ما هو أعلى، فتمَّ ذلك الزواجُ الميمون، وكان هو ابنَ خمس وعشرين، وهي ابنةُ أربعين، وتوفيت بعد البعثة بعشر سنين، ولم يتزوج ﷺ عليها، ولا أحبَّ أحدًا مثلها، وكان طولَ عمره يذكرها.

فلما بلغَ رسولُ الله ﷺ أربعين سنةً بعثه الله رحمةً للعالمين.

وكان يخلو بغار حراءٍ، فيتحنَّثُ فيه الليالِيَ ذوات العدد، ثم يرجع إلى خديجة فيتزوَّدُ، حتى جاءه الحقُّ وهو على هذا الشأن بنزول القرآن عليه في شهر رمضان، بأنْ تمثَّل له الروحُ الأمينُ جبريلُ، ولقَّنَهُ عن ربه أفضلَ تنزيل، قال له: اقرأ، فقال: «ما أنا بقارئ» كرر ذلك ثلاث مرات، وكان المَلَكُ بعد كل جواب يغطُّه -أي: يضمه- إلى صدره ويعصره حتى يبلغ منه الجلد مبلغه، ولما أرسله في الثالثة

قال: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١ - ٥].

أي كن قارئًا بعد أن كنت أميًا باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان الناطق من علق ولم يك شيئًا، لا باسمي ولا باسمك ولا بحولي ولا بحولك، فهو القادر على جعلك قارئًا لآيات ربك، وعلى تعليمك من الكتاب والحكمة ما لم تكن تعلم، كما علم الإنسان بالقلم وغير القلم ما لم يكن يعلم.

فرجع ﷺ بهذه الآيات إلى خديجة يرجف فؤاده، ولكن حفظ رشاده فقال: «زملوني زملوني» فزملوه، حتى إذا ذهب عنه الروع أخبر خديجةَ الخبرَ، فقالتْ له: كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتَصِلُ الرحمَ، وتحملُ الكلَّ، وتكسبُ المعدومَ، وتقري الضيفَ، وتعينُ على نوائب الحقِّ.

ثم فتر الوحي ثلاث سنين قوي فيها الاستعداد، واشتدَّ الشوقُ والحنين، ثم حمي الوحي وتتابع، وبلَّغ ﷺ دعوة ربه، فاشتدَّ عليه أذى المشركين، فما هذا النبأ العظيم الذي جاء به بعد الأربعين؟ وما ذلك الأمر الذي دعا إليه بعد ثلاث وأربعين؟ فغيَّر اللهُ به على يديه تاريخ البشر أجمعين ﷺ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

يا له من شرف رفيع، وقدر منيع، لم يخطر على قلب بشر، ولم يطمح لإدراكه إنسان!، ربُّ العزة يصف محمدَ بنَ عبد الله بأنه على خُلُقٍ عظيمٍ، فأيُ فضلٍ شمل الله به نبيَّه، وأيُّ مقامٍ رفَعَ إليه عبدَه ورسولَه وصفيَّه وخليلَه.

وقد كان مِن خُلُقه ﷺ العلمُ والحلمُ والعدلُ والصبرُ والشكرُ والزهدُ والعفوُ

والتواضعُ والعفةُ والجودُ والشجاعةُ والحياءُ والمروءةُ والرحمةُ والوقارُ وحسنُ الأدبِ والمعاشرةُ، إلى ما لا حدَّ له من الأخلاق المرضية التي اختصه بها خالقُه تبارك وتعالى.

وحقًا إنَّ المادحين مهما وَصَفوا وبالغوا في مدحِ الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه، فلن يصلوا إلى بعض ما بلغه من شرفِ مدحِ اللهِ سبحانه وتعالى له، وقال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]، بالنبوة وبذكره ﷺ في التشهدِ والأذانِ والإقامةِ، والذي وصفه ربه تعالى بالسراج المنير، وكيف لا يكون نورًا وسراجًا منيرًا وقد جعل أرضَ العرب القاحلة مهبطًا لجبريل، ولغةَ العرب صحيفةَ لأنوار التنزيل؟!، وكوَّن صلوات الله تعالى وسلامه عليه أمةً شمخت في المجد في زمنٍ لا يكفي لتكوين رجلٍ واحدٍ، ثلاثة وعشرون عامًا هي مدة بعثته وهجرته ودعوته هي أعظم من بدء الخليقة حتى زمن بعثته عليه الصلاة والسلام.

فيا عبادَ الله، ما القول في أميٍّ نشأ بين أميين قام بذلك الإصلاح الذي تغير به تاريخ البشر أجمعين في الشرائع والسياسات وسائر أمور الدنيا والدين؟! وامتدَّ مع لغته في قرنٍ واحدٍ من الحجاز إلى آخر حدود أوربا وإفريقية من الغرب، إلى حدود بلاد الصين من جهة الشرق، حتى خضعت له الأممُ، ودانتْ[1] لدولته الدولُ، وكانت تتبعُهُ في كلِّ فتوحه الحضارةُ والمدنيةُ والعلومُ العقلية والكونية على أيدي تلك الأمة الحديثةِ العهدِ بالأمية التي علَّمها القرآنُ أنَّ إصلاح الإنسان يتبعُهُ إصلاحُ الأكوان؟!، فهل يمكن أن يكون هذا إلا بوحي من لدن حكيمٍ عليمٍ،

[1] في المطبوعة: ودالت.

وتأييد سماوي من الإله العزيز القدير الرحيم، اختصَّ به ذلك النبي الأمي الكريم عليه من الله أفضلُ الصلاة والتسليم؟!.

أقام ﷺ في مكة بعد بدء التبليغ عشر سنين، يدعو إلى أصول الإيمان وكليات الدين، في التوحيد الخالص والعمل الصالح، وتزكية النفس بتطهيرها من أدران الرذائل، وتحليتها بأحسن الأخلاق، واستعمال نعم الله تعالى من بدنية وعقلية وسماوية وأرضية فيما تظهر به حكمته وتشاهد آياته في الخلق وتتسع بها العلوم التي يعرف بها الحق وتكثر موارد الرزق، صابرًا مع السابقين من المؤمنين على الاضطهاد والأذى من المشركين.

ثم دخل الإسلامُ مرحلةً جديدةً بالهجرة، وتكونت له قوةٌ، وجاء الوحي فيه مفصلًا لما أُجمل في السور المكية من الأحكام وبيان الحلال من الحرام، وفُرِضتِ الزكاةُ والصيامُ والحجُّ، وكانت الصلاةُ فُرِضتْ بمكة قبيل الهجرة، وبيَّنتِ السُّنَّةُ النبويةُ جميع فروع العبادات وكلَّ ما يحتاج إليه من النصوص والقواعد للسياسة وأنواع المعاملات، فبذلك كلِّهِ أكمل الله الدين وأتمَّ نعمته على المؤمنين.

وقد تربى على ذلك الألوفُ من المهاجرين والأنصار، فنشروا هذا الدين القويم في الأقطار والأمصار، وقد كانت مدةُ التشريع بعد الهجرة عشرَ سنين، فبعد حجة الوداع بثلاثةِ أشهرٍ قَبَضَ الله تعالى نبيَّهُ، ورفع روحَهُ الطاهرة إلى الرفيق الأعلى، وذلك يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول، وكذلك كانت ولادته وبعثته وهجرته في يوم الاثنين.

Scanned with CamScanner

فتوفي ﷺ تاركًا للأمة ما إن تمسكوا به لن يضلوا من بعده: كتاب الله، وسنته، وكذا خلفاءه الراشدين وعلماء أصحابه العاملين، مؤسسًا لهم أمة ودولة عادلة رحيمة، وحكومة شوروية حكيمة، قيدت فيها سلطة الفرد بالشريعة العادلة، مبشرًا بأنَّ مُلْكَها سيعمَّ الشرقَ والغربَ، وينتظم ملك كسرى وقيصر، وأنه يظل عزيزًا ما أقاموا الحق واعتصموا بالعدل، فإذا وَسَّدوا الأمرَ إلى غيرِ أهلِهِ فلينتظروا ساعتهم المضروبة لفقده، وبأنه لا تزال طائفة من أمته ظاهرةً على الحق، قوامةً على أمر الله، إلى أن تقوم الساعة، ويأتي أمر الله.

وقد تمَّ كلُّ ما بَشَّر به وأنذر، ولا تزال آيات نبوته تتجدد وتتكرر، فجزاه الله عنا أفضل ما جزى نبيًا عن قومه، ورسولًا عن أمته.

وصلى الله وبارك عليه وعلى أصحابه وأتباعه وأهل بيته الطاهرين، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨١، ١٨٢].

Scanned with CamScanner

سلسلة

جمع تراث علماء الكويت

١

الأعمال الكاملة

لفضيلة الشيخ

عبد الله بن عبد الرحمن بن علي بن سليمان السند

المتوفى سنة (١٣٩٧هـ) رحمه الله تعالى

اعتنى به

د. تركي محمد حامد النصر

د. رياض منسي العيسى

فكرة وإشراف

د. عبد المحسن عبد الله المارك الخرافي

الجزء الثاني

Scanned with CamScanner

ذِكْرَى

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

ديوان خطب منبرية دينية عصرية

Scanned with CamScanner

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١

ذكرى مولد محمَّد ﷺ

الحمدُ لله الَّذي بعث في الأمِّيِّين رسولًا منهم، يتلو عليهم آياته، ويزكِّيهم ويعلِّمهم الكتاب والحكمة، رسولًا يعزُّ عليه ما يعنت أمَّته، بهم رؤوفٌ رحيمٌ.

أحمده -سبحانه وتعالى- حمد الشَّاكرين، وأستغفره وأستهديه وهو أرحم الرَّاحمين.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له ربِّ العالمين.

وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّدًا عبده ورسوله الصَّادق الأمين.

اللهمَّ صلِّ على عبدك ورسولك محمَّد وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعدُ: فيا أيُّها المسلمون، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى وطاعته ولزوم أوامره وكثرة مخافته.

فيا عبادَ الله، اعلموا أنَّ في مثل هذا الشَّهر وُلِدَ مَن اصطفاه الله تعالى لرسالته، واختاره لإخراج النَّاس:

من الظُّلمات إلى النُّور، مِن الباطل الزَّهوق[1] إلى الحقِّ الَّذي هو أحقُّ أن يُتَّبعَ، مِن عبادة الأوثان والتَّمسُّك بالأوهام إلى توحيد الله العليِّ الكبير، مِن

---

(١) الزهوق: وهو الزوال والاضمحلال. انظر: المعجم الوسيط (١/ ٤٠٤).

Scanned with CamScanner

تعاظم الإنسان على أخيه الإنسان إلى الحبِّ في الله والأخوَّة في الدِّين، من تنافر الآراء وتعدُّد الأهواء وفوضى النُّظم وتباين المشاعر وتشتُّت السُّبل والأهداف إلى الوحدة في المعتقد والوحدة في الاتجاه، مِن تحيُّنِ الفرص للسَّلب والنَّهب وغزو الآمنين والافتخار بالظُّلم والانتقام، إلى الدَّأب على نشر الهدى والإيمان والمسارعة إلى إعلاء كلمة الله.

كانت كلمةُ الله قد أيقظت ضميرَ الإنسان، ومزَّقت الحجبَ عن بصيرته، ورفعتِ الأستارَ عن فطرته، فرأى أنَّ الله تعالى قد هداه النَّجدين، ونظر أيُّهما يسلك[1].

دفعتْهُ كلماتُ الله إلى أن يفكِّرَ ويتدبَّر، ليفهمَ فيتَّعظَ، ثمَّ يمعنَ النَّظرَ ويرجعَ البصرَ كرَّتين، فيجزمَ بأنَّ لهذا الكون خالقًا، ولهذه الأحياء رازقًا، ولهذا الفلك الدَّائر مدبِّرًا[2].

وهكذا كانتِ الرِّسالةُ تحملُ الهدى للأرواحِ بعد ضلالِها، وتشيعُ الثِّقةَ في النُّفوسِ بعد حيرتِها واضطرابِها، وتنشرُ الأمنَ والسَّلام في النَّاس بعد ذلك الشِّقاق القاتل وبعد تلك الحروب المبيدةِ، وكانت تبدِّلتِ الشَّحناءُ والبغضاءُ بالمودَّةِ والألفةِ والإيثارِ والمشاركةِ في الشُّعور بالآلام والمسرَّات، بحيث يكونون كالجسدِ الواحدِ، يتألَّم بعضُهُ لبعضِهِ الآخر، وكالبنيانِ يشدُّ بعضُهُ بعضًا، وبعد أن طهرتِ القلوبُ مِن فاسدِ الاعتقاد ودنسِ الأباطيل، ملأتْها هدًى ويقينًا

(١) لقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠].
(٢) لقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الملك: ٣، ٤].

Scanned with CamScanner

وعفَّة وإيمانًا، وجرى في عروقها الاعتزازُ بالله وحبُّ العمل الصَّالح الخالص في سبيل الله، فكانوا بحقٍّ خيرَ أمَّةٍ أُخرجتْ للنَّاس، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧].

وقد علَّمتْهم آياتُ الله وسيرةُ رسوله محمَّد ﷺ أن يتواصوا بالصَّبر ويتواصوا بالمرحمة، بعد أن أوجبتْ على كلِّ مؤمنٍ أن يصبرَ ويثبتَ، أمرتْهم مجتمعين أن يوصي بعضُهُم بعضًا بذلك، ففرضتْ عليهم أن يكونوا مثبِّتين، لا مثبِّطين، ومناصرين لا مخاذلين، أوجبتْ عليهم وجوبًا حتميًّا أن يتعاونوا على دفع ما يحلُّ بهم من المصائب والنَّوازل، ويكونوا يدًا واحدةً عندما تقع على الأمَّةِ الكوارثُ وتشتدُّ الأزماتُ وتَدْلَهمُّ الخطوبُ[1]، وكانت رسالةُ محمَّد ﷺ قد أقرَّتْ في نفوسِ المسلمين أنَّ رأسَ الحكمة مخافةُ الله تعالى، وبمخافة الله عزَّ وجلَّ استطاعوا أن يسيطروا على نزغات النَّفوس وهواها الَّذي استولى على العصاة فأوردهم النَّار وبئس المورود.

أمَّا المؤمنون الصَّادقون فقد نهوا أنفسهم عن هواها، واستعانوا بالخوف من الله، فأنجاهم سبحانه وأدخلهم في رحمته.

فيا عباد الله، اعلموا أنَّه قد تجمَّعت الفضائلُ البشريَّة ومكارمُ الأخلاق في خُلُق الرَّسول محمَّد وفي سيرتِهِ ﷺ، فكان المثلَ الأفضلَ في كلِّ فضيلةٍ، والقدوةَ العبقريَّ الفذَّ في كلِّ معرفةٍ، وكان أفضلَ البشر في كلِّ مكرمةٍ، وسبحان مَن قال له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، فكان عليه الصَّلاة والسَّلام أشر

---

(١) ادلهمَّ: بمعنى اشتدَّ. انظر: المعجم الوسيط (١/ ٢٩٥). والخَطْبُ: هو الشَّأنُ أو الأمر صَغُر أو عَظُم، وتقول: هذا خَطْبٌ جليلٌ، وخَطْبٌ يَسير. انظر: لسان العرب (١/ ٣٦٠)

النَّاس، وأفصحَ النَّاس، وأعلم النَّاس، وأسخى النَّاس، وأعدلَ النَّاس، وأعفَّ النَّاس، غفرَ الله له ما تقدَّم وما تأخَّر مِن ذنبِه، فزاد في عبادتِه، فكان يقومُ مِنَ اللَّيل ما شاء الله، ولمَّا قيل له في ذلك قال: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!»[1].

كان ﷺ يجالس الفقراءَ والمساكينَ، ويبدأُ أصحابه بالسَّلام، وكان كواحدٍ من سائر المسلمين، وتراه يساعدُ أهله في شؤون بيته، كان يفعل ذلك وأكثرَ مِن ذلك، ليضربَ للمؤمنين أمثلةً عمليَّةً في الابتعاد عن الكِبْر وعنِ التَّعاظم على أبناء الأمَّة، وليعلِّمَهم أنَّ الطَّيِّبَ مِنَ النَّاس مَن كان طيِّبًا بأفعالِه وأخلاقِه، لا بمنصبِه ومركزِه، الله أكبر، ما هذا؟!

إنَّ من ينظرُ في سيرةِ الرَّسولِ وسيرةِ أصحابِه، ثمَّ يرجعُ إلى ما حوله الآن، يجدُ أنَّه كان يتقلَّب في الرُّؤيا الجميلة والأحلام، وإلا فكيف يكون ذلك الدِّينُ الغَيُّم؟ وتلك الرِّسالةُ الَّتي سعد بها المسلمون؟ والَّتي كانت منهلًا لعطشهم الرُّوحيِّ، ومنظِّمًا لكافَّة أمورهم، ودافعًا لرقِّيهم السَّريع المتتالي، إلى أن جاء دورنا في الحياة، فإذا نحن في آخر القوافل، فأين تلك الدَّولةُ الإسلاميَّة الَّتي ملكتِ الشَّرقُ والغربُ؟ وأين تلك العلومُ؟ وأين وأين!؟

تلك سنَّةُ الله في خلقه، لقد بدَّلْنا وغيَّرْنا، وإنَّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١١٣٠) ومسلم، رقم الحديث: (٢٨١٩) من حديث المغيرة بن شعبة.

لقد نِمْنا واستيقظ غيرُنا، وقعدْنا وسار غيرُنا، خذلَ بعضُنا بعضًا، فأكلتْنا الأمم، وحاربتْنا في عقرِ دارنا، وصار غيرُ المسلم يحكمُ المسلمين في بلاد المسلمين، ويتحكَّمُ في خيرات المسلمين، وتلك حالةٌ مؤلمةٌ أشدّ الإيلامِ، حالةٌ مخجلةٌ أمام الله ورسوله.

لقد كان رسولُ الله ﷺ ينظرُ بنور الغيب حين أوصانا بأنَّنا لا يمكنُ أن نصلحَ أنفسنا إلَّا بما صلح به أوَّلنا، وإن ذلك لممكنٌ قريبٌ بعون الله تعالى، ومن قال غيرَ ذلك فهو المثبِّطُ للعزائم، المفتِّرُ للهممِ، فالمسلمون -بحمد الله- كثيرون، وفي بلادهم مِن الخيرات ما يُغنيهم، وفي كتابِ الله عزَّ وجلَّ ما يرشدُهُم ويهديهم، وفي سنَّةِ رسولِهِ ما يوضِّحُ لهم الطَّريق، والله -على الأخذ بأيدينا- قادرٌ، وما ذلك على الله بعزيز، وحسبنا اللهُ ونِعْمَ الوكيلُ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين مِن كلِّ ذنبٍ، أستغفر الله.

Scanned with CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

٧

مولدُ محمَّد رسولِ الله ﷺ وشيءٌ من سيرته

الحمد لله الَّذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقِّ، أرسله الله تعالى إلى جميع الخلق، ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، أحمدك اللهمَّ سبحانك، وأشكرك وأستهديك وأتوب إليك وأستغفرك.

وأشهدُ أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، مالك يوم الدِّين، وأشهدُ أنَّ نبيَّنا محمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ، خاتم النَّبيِّين، اللهمَّ صلِّ على عبدِك ورسولِك محمَّد وعلى آله وأصحابه وأتباعه الطَّاهرين، وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعدُ: فيا أيُّها المسلمون، أوصيكم ونفسي بتقوى الله العظيم واتِّباع رسولِهِ محمَّد الكريم، قال الله عزَّ وجَّل: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

في مثل هذا الشَّهر وُلِدَ محمَّد ﷺ سويَّ الخلقِ، جميلَ الصَّورةِ، صحيحَ الجسمِ، وكانت ولادتُهُ في عام الفيلِ في اللَّيلة الثَّانية عشرة أو التَّاسع مِن شهرِ ربيع الأوَّل، الموافق للعشرين مِن شهر إبريل، الحادي والسَّبعين بعد الخمسمائة من مولدِ المسيحِ -عليهما الصَّلاة والسَّلام-.

وُلِدَ ﷺ يتيمًا، ونشأ في قومِهِ فقيرًا، وتوفِّي والدُهُ وهو حملٌ في بطنِ أمِّهِ،

Scanned with CamScanner

وكان لمولده الآياتُ والدَّلائلُ الَّتي تبشِّرُ بما سيكون لهذا المولودِ المباركِ مِن شأنٍ، وما يحصلُ على يديه مِن خيرٍ وبركةٍ، جاء رحمةً لجميع النَّوعِ الإنسانيِّ على السَّواء.

ومحمد رسولُ الله ﷺ قد هيَّأه الله -سبحانه وتعالى- لحملِ رسالتِه العظمى إلى الخلقِ كافَّةً، أتى بمبادئَ تضمَّن الخيرَ والسَّعادةَ لكلِّ فردٍ وأمَّةٍ ولكلِّ قطرٍ ودولةٍ.

ومحمد ﷺ خصَّه الله تعالى بالأخلاق الكريمة والمحاسنِ الجميلة، كان -عليه الصَّلاة والسَّلام- أشرفَ الخلقِ منزلةً، وأعظمَهم قدرًا، وأرفعَهم ذكرًا، وأفضلَ الأنبياء مكانةً، وأعمَّهم رسالةً، وأكملَهم شريعةً، وأتمَّهم كتابًا، وخيرَهم أمَّةً.

ومِمَّا وُصِف به: «لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ سَخَّابٍ بِالأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ الله حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا الله فَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا»[1].

نشأ رسولُ الله ﷺ متحلِّيًا بمكارم الأخلاق، متَّصفًا بكلِّ فضيلةٍ، بعيدًا عن كلِّ رذيلةٍ، يصلُ الرَّحمَ، ويحملُّ الكَلَّ، ويَقْري الضَّيف، ويُكسِبُ المعدومَ، ويُعينُ على نوائبِ الحقِّ، اشتهر رسولُ الله ﷺ بين قومِه وعشيرتِه بالفضلِ والأمانةِ ومكارمِ الأخلاق، وسمَّاه قومُهُ بالأمين لصدقِه وأمانتِه.

وبعد بلوغِهِ الأربعين مِن عمرِهِ المبارك: أوحى الله إليه، وأرسله إلى النَّاس

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢١٢٥) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

Scanned with CamScanner

كافَّةً، عربِهم وعجمِهم، بشيرًا ونذيرًا، وهاديًا إلى الخير والرَّشادِ، ومحذِّرًا مِن الشَّرِّ والفسادِ.

بعثه الله تعالى رحمةً للعالمين، إذ كانوا على شفا حفرةٍ مِنَ النَّار، فأنقذهم الله به، وكانوا ضُلَّالًا فهداهم الله به، وكانوا أعداءً متباغضين، فألَّف الله بين قلوبهم.

بلَّغ ﷺ رسالةَ ربِّه، وأدَّى الأمانةَ الَّتي حملَها على أتمِّ وجهٍ، وأحسنِ أداءٍ، نجاهد في دينِ الله، وصبَرَ على الأذى، وفارق بلادَه وعشيرتَه في سبيلِ الله ومرضاتِه، حتَّى أظهره اللهُ وأظهر دينَه على سائرِ الأديان.

دعا النَّاسَ لتوحيدِ الله وإخلاصِ العبادة له، وحذَّرهم مِن الشِّرك وعبادةِ غيرِ الله، كائنًا مَن كان، دعا إلى الأخلاق الفاضلة، وأتى بتعاليم ومبادئ تزكِّي النُّفوسَ، وتنمِّي الإيمان وتقويِّه، وتحفظُ العقلَ والعرضَ والمالَ، دعا النَّاس إلى المساواة وعدمِ الفوارقِ إلَّا بالتَّقوى، نهى ﷺ عن تقليدِ الآباءِ والأجدادِ واتِّباع الأهواء والشَّهوات.

أرسله الله رحمةً للعالمين وحجَّةً على الخلائق أجمعين، أرسله بالعلمِ والنُّورِ والهدى حينما كان النَّاسُ في جاهليةٍ جهلاءَ، وفي ضلالةٍ وعمًى حينما كان التَّحاكمُ إلى الكهَّان والعرَّافين، والنَّفعُ والضَّررُ يُطلبُ مِن الأصنامِ والأوثان.

فالعقائدُ زائفةٌ، والأوهامُ والخرافاتُ مسيطرةٌ على العقول، كانوا في جاهليةٍ لا تعرف العدلَ ولا الرَّحمةَ بالضُّعفاء، لا تعرفُ الخيرَ ولا فعلَهُ ولا التَّعاونَ على البرِّ، المحرماتُ تُنتهكُ، والأعراضُ يُعتدى عليها، والدِّماءُ تُسفكُ، والعقولُ

تتخبَّطُ في ظلماتِ الجهلِ والضَّلالِ، فأنقذَ الله به العالم مِنَ الرِّجسِ والظُّلمِ والطُّغيانِ، فعمَّت الرَّحمةُ، وحلَّ العدلُ محلَّ الظُّلمِ، وأصبح النَّاسُ في نعمةِ الله إخوانًا، وصار أتباعُ محمَّد ﷺ قادةَ العالمِ ودعاةَ الدِّين والإسلامِ والسَّلامِ، أعزَّهم الله به وأعزَّ بهم الدِّينَ، فتحوا الممالك، وأمَّنوا المسالك، ونشروا فيها تعاليمَ الدِّين والعدالةِ، وصارتْ رايةُ الإسلام تخفقُ في مشارقِ الأرض ومغاربِها.

عبادَ الله، إنَّ نشأةَ محمَّد بنِ عبدِ الله رسولِ الله ﷺ وحياتَه كلَّها عبرةٌ وجهادٌ وإصلاحٌ وإرشادُ الخلقِ ودعوتُهُم إلى الحقِّ وإلى ما فيه إسعادهم وفلاحهم، أمرهم بذلك كلِّه، ونهاهم عن الباطلِ والشِّركِ، نهاهم عن العاداتِ الجاهليَّةِ الضَّارَّة المفسدةِ للدِّين والعقلِ، فقد كان رحمةً للعالمين، وبالمؤمنين رؤوفًا رحيمًا.

فيا أيُّها المسلمون، اعلموا أنَّه لا فلاح للنَّاس ولا مفرَّ مِن الخسران، إلَّا إذا آمنوا بهذا الرَّسولِ محمَّد الأمين، وبما جاء به إيمانًا صادقًا، وعملوا الصَّالحات، وتواصوا بالحقِّ، وتواصوا بالصَّبر.

واعلموا أنَّه ما ضعف المسلمون وذُلُّوا وتسلَّط عليهم العدوُّ إلَّا حينما ابتعدوا عن دينِهم، وضعفَ إيمانُهُم به، وتخلَّفوا عن اتِّباع الرسول ﷺ وتحكيمِ شرعِهِ والاقتداءِ به، ولن يستردُّوا مجدَهم وعزَّهم، ولن يكونوا خيرَ أمَّةٍ أُخْرِجَتْ للنَّاس إلَّا بالرُّجوع إلى دينِهم، واستمساكِهم بحبلِ الله المتينِ، والاهتداءِ بهدي الرَّسول الكريمِ، وطاعتِهِ في كلِّ شيءٍ.

Scanned with CamScanner

اللهمَّ وفِّق الأمَّةَ الإسلاميَّة للعمل بكتابِك وبسنَّةِ نبيِّك محمَّد رسول الله ﷺ، اللهمَّ خذْ بنواصيهم إلى الحقِّ، واهدهم سبيلَ الرَّشادِ، وأصلحْ فسادَ قلوبهم، وانصرْهم على أعدائِهم برحمتِك، إنَّك أرحم الرَّاحمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم.

Scanned with CamScanner